

## العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام في إقليم دارفور

د. عبد الرزاق محمد علي

قسم التاريخ/ كلية التربية القربولي/ جامعة المرقب

Dr. Abdul Razzaq Muhammad Ali

WWW.razkd086@gmail.com

### الملخص:

تناول هذا البحث أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام في إقليم دارفور والمتمثلة في طبيعة النشاط التجاري الذي مارسه أهل هذا الاقاليم من عرب وغير عرب وقد شملت هذه العوامل أربع نقاط تم التركيز عليها ودرستها وهي - هجرة غير العرب من المسلمين إلى دارفور احاطه الإسلام بمعظم جهات دارفور - تأثير الحج والحجاج في نشر الاسلام في دارفور - طبيعية حياة العرب وطبيعة دارفور الجغرافية وأثرها في نشر الاسلام ومن خلال هذه العوامل تم انتشار الاسلام في هذا الإقليم وتكرست العروبة و الإسلام فيه ومنه أنتشر الإسلام إلى المناطق المجاورة لهذا الإقليم.

### Factors that helped spread Islam in Darfur

This research dealt with the most important factors that helped the spread of Islam in the Darfur region, represented by the nature of the commercial activity practiced by the people of these regions, Arabs and non-Arabs. These factors included four points that were focused on and studied, namely :The migration of non-Arab Muslims to Darfur. Islam encompassed most parts of Darfur. The impact of Hajj and pilgrims in spreading Islam in Darfur.

The impact of Hajj and pilgrims on spreading Islam in Darfur - the nature of Arab life and the geographical nature of Darfur and its impact on spreading Islam. Through these factors, Islam spread in this region and Arabism and Islam were established in it, and from there Islam spread to the regions neighboring this region.

### تمهيد:

يعتبر انتشار الاسلام في دار فور هو النتيجة الطبيعية الثانية لهجرة العرب الى هذا الإقليم وللنشاط التجاري الذي مارسه أهلها من عرب وغير العرب مع الأقطار الإسلامية المجاورة والحقيقة ان انتشار الإسلام في دار فور لا يعود الى هذين العالمين وهي الهجرة والتجارة فقط، وانما يعود الى عوامل أخرى أدت الى هذه النتيجة.

وهكذا تعددت العوامل التي أدت الى انتشار الإسلام في دار فور وذلك قبل قيام سلطنة دارفور الإسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بزمان طويل، لأن هذه العوامل كانت تؤتي ثمارها منذ ان انتشر الاسلام في بلدان غربي ووسط أفريقيا المعروفة باسم بلاد السودان الغربي والأوسط منذ القرن العاشر والحادي عشر

للميلاد، ووفد من هذه البلاد حجاجها وتجارها وهجراتها الى دارفور منذ ذلك الحين وحتى نبين ذلك لابد من الحديث عن هذه العوامل في شيء من التفصيل:

### أولاً: هجرة غير العرب من المسلمين الى دارفور:

هاجر الى دارفور بجانب العرب قبائل أو جماعات اخرى ليست عربية الأصل وكان لها أثرها في نشر الاسلام في هذا الاقليم من هذه الجماعات، جماعات الزغاوة، والفلان ( الفلاتا )، والتكارنة اما الزغاوة فهم خليط من الزنوج والتيو والليبيين، وكانوا يضمون ايضا بعض بنى تميم العرب، وبعض الميمة وبعض التكرور<sup>(1)</sup> وذكر اليعقوبي الزغاوة في وقت مبكر من القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد اثناء حديثه عن الكانم<sup>(2)</sup>، كما وصفهم المهيلي في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد كمملكة واسعة تمتد بين بحيرة تشاد وحدود النوبة، وكانت مملكتهم تشمل أصلا على كل من كانم ودارفور، اذ يقول أنها مملكة عظيمة من ممالك السودان تشمل أمما كثيرة وتحدها من الشرق مملكة النوبة وتمتد غربا مسيرة عشر أيام، بطول خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة<sup>(3)</sup> ويشير الادريس الذي عاش بعد ذلك في القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد إلى امتداد بلادهم في الشمال حتى فزان الليبية، وفي الجنوب الى حدود بلاد الكانم بحيث لم يكن بين انجيمي عاصمة بلاد الكانم وبين مدينة زغاوة الا مسافة مسيرة ستة أيام، كما يشير الى كثرة كور وأقاليم هذه المملكة الواسعة والى كثرة سكانها وكثرة أبلها التي كانت تحمل المتاجر وتنقلها بين مختلف البلدان التي تحيط بها<sup>(4)</sup>.

وعلى ذلك فان الزغاوة انتشروا منذ القرن التاسع للميلاد على مساحة رحبة تمتد في الجنوب من دارفور حتى بحيرة تشاد، وتمتد في الشمال حتى تصل الى المنطقة الممتدة بين الواحات المصرية والنوبة من ناحية الشرق، وتتسع غربا الى الخط الذي يصل ما بين فزان في الشمال وبحيرة تشاد في الجنوب، وكانوا يعيشون في الجزء الجنوبي من هذه المنطقة الواسعة، بينما كان يعيش اخوانهم من التاجو في الجزء الشمالي الذي يمتد الى بلاد النوبة، كما قال بذلك الادريسي الذي يسميهم التاجوين<sup>(5)</sup>، والذين كانوا يخضعون الزغاوة ولمن جاورهم من الشعوب الأخرى<sup>(6)</sup>

وبسبب موقع بلاد الزغاوة في ملتقى الطرق التجارية التي تربط بين الشمال الأفريقي وبلاد تشاد ودارفور، وبسبب كثرة ابلهم التي كانت تحمل التجارة، فقد تعرضوا للمؤثرات الثقافية الواردة مع التجار العرب وغير العرب، وبمضي الزمن اخذ الزغاوة باللغة العربية كلغة للتخاطب والمعاملات اليومية، كما دخلت في بلادهم تقاليد وعادات عربية، واعتنق القوم الاسلام بعد عصر المهيلي مع احتفاظهم ببعض التقاليد الموروثة<sup>(7)</sup>، ولذلك فان ابن سعيد المغربي الذي عاش في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد يصفهم بأنهم مسلمون<sup>(8)</sup> وكذلك فان ابن خلدون الذي عاش في القرن التالي يصفهم ايضا بنفس الصفة<sup>(9)</sup>

(1) رجب عبدالحليم، العروبة والإسلام في دار فور في العصور الوسطى، القاهرة، ط1، 1999، ص218

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مطبعة العزى بالنجف، العراق، سنة 1939، ج1، ص156

(3) ياقوت: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957، ج4، ص142

(4) الادريس: نزه المشتاق في اختراق الافاق، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ، 1989، ص29-30، ص112

(5) المصدر السابق، ج1، ص30

(6) المصدر السابق، ج1، ص119

(7) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1392هـ 1972م، ص357

(8) ابن سعد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قريبيطط حيسبيس، معهد مولات الحسن سنة 1372هـ، 1958، ص28-

ويبدو أن كثيرا من الزغاوة اضطروا النزوح والتركز جنوبا في الجزء الشمالي من دارفور في بداية القرن الثاني عشر للميلاد وكان نزوح الزغاوة الى دارفور نتيجة لتعرضهم لهجرة من الطوارق سواء كان هؤلاء الطوارق من التيبو والتدا أم من الملتمين وقد تمكنت هذه الهجرة أن تفرض سلطانها على الزغاوة وان يمتد هذا السلطان جنوبا ليشمل بلاد الكائم حيث كونوا فيها طبقة ارسنقراطية تولت الحكم وأسست سلطنة كانم الاسلامية في بداية ذلك القرن وأطلقت على نفسها اسم الأسرة السيفية نسبة الى سيف بن ذي يزن الذي انتسبت اليه (10)

ولما رحل هؤلاء الزغاوة الى دارفور سكنوا في الجزء الشمالي الغربي منها، ورحل بعضهم الى كردفان وسكنوا اقليم كامجارا (11)، وكونوا في دارفور ممكنة تسمى مملكة الزغاوة كان لها سلطانها الذي يحكمها، وكانت تشتمل على خلق لا يحصون كثرة حسب تعبير التونسي (12)، كما أنها كانت من أعمر الممالك في دارفور، وكانت أصحها من الناحية الصحية، ولذلك تجد الزغاوة في غاية من القوة وسلامة الأعضاء (13) حتى كان يخشاهم سلاطين الفور، نظرا لكثرتهم وشدة باسهم (14)

ونظرا لموقع بلادهم في الجزء الشمالي من دارفور، فانهم كانوا اول من يستقبلون التجار القادمين من مصر وغيرها من البلاد التي تقع شمال دارفور، وكان قائدهم هو الذي يستقبل هؤلاء التجار على رأس فرسانه ويتبين أن بلاد الزغاوة كان يمر بها طريق درب الأربعين القادم من مصر، كما كان يمر بها الطريق التجاري القادم من الشرق من وادي النيل الى بلاد الكائم والى غرب افريقيا. (15)

ولذلك فان الزغاوة كان لهم دور كبير في استعمال المؤثرات الاسلامية القادمة عبر هذه الطرق، كما ان امتداد بلادهم الى الشمال والغرب حتى تصل الى تشاد جعلهم على صلة ببلاد الكائم التي كانت قد تحولت الى الاسلام عند نهاية القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر للميلاد، وهذه الصلة بالإضافة الى وقوع الطرق التجارية عبر بلادهم جعلهم من أهم الجماعات التي كان لها دور في نشر الاسلام في دارفور، ان المؤرخين والرحالة العرب القدامي كابن سعيد وغيره اشاروا الى أن هذه القبائل والجماعات كانت على الاسلام في عصرهم الذي يعود الى القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد ومعنى ذلك انهم كانوا من الدعاة الى الاسلام في هذه البلاد اما الفلان أو الفولاني الذين يسميهم أهل دارفور الفلاتة أو فلانا وهو اصح عند التونسي، فهم من الحاميين الذين التزجت دماؤهم بالدماء العربية وعاشوا اصلا في شمال نيجيريا وغرب افريقيا، وتعددت قبائلهم واعتنقوا الاسلام وتكلموا اللغة العربية بجانب لغاتهم الأصلية، وكانوا من أكثر الناس دعوة لنشر الاسلام بجانب السوننك في غرب افريقيا، وهاجر بعضهم الى تشاد حيث اختلطوا بالعرب الموجودين بها ثم هاجروا الى دارفور (16) وسكنوا في السهول الواقعة جنوبي جبل مرة حتى صارت مساكنهم تقرب من ديار المساليط من جهة الغرب، وكان العرب

(10) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1406/1986م، ص234

(11) التونسي تشيخ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان تحقيق د خليل محمد عساكر د. مصطفى محمد مسعد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، سنة 1385هـ/1965، ص54-144

(12) المصدر السابق، ص136.

(13) المصدر السابق، ص281

(14) المصدر السابق، ص110-109

(15) المصدر السابق ص54

(16) التونسي: نفس المصدر، ص63، كوهين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الافريقي، ترجمة مختار سويقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة

1407هـ/1987م، ص130

من بنى هلية والمسيرية الزرق يلونهم من جهة الشرق<sup>(17)</sup>، وبلاد الكراكريت من الشمال والقوركة من الجنوب (18)

وعلى ذلك فان بلادهم تقع في الجزء الجنوبي من دارفور الذي يسمى دار آباديما<sup>(19)</sup> اما بيرون فقد جعلهم يعيشون في غرب دارفور في المناطق الواقعة جنوب دار المساليط وغرب جبل مرة الذي يفصل بينهم وبين بنى هلية والمسيرية الزرق<sup>(20)</sup> وهذا يجعلنا نميل الى القول بأن بلاد الفلان امتدت من الجنوب الى الغرب حتى اتصلت ببلاد باقرمي باجرمي التي كان فيها قوم من الفلان يسمون القلبة<sup>(21)</sup> أو الفولة<sup>(22)</sup>.

ونظرا لاتساع بلادهم على هذا النحو، فقد كان الفلان في دارفور من القبائل الكثيرة العدد، ومن قبائل البقارة الثرية التي لا تألف معيشة الحواضر والمدن كانوا يتبعون الكلا اينما كان<sup>(23)</sup>، وربما كان هذا هو السر في امتداد بلادهم الى الغرب والى تشاد وطبيعي أن هذا التنقل والترحال وراء الكلا والعشب يجعلهم من القبائل المفيدة في نشر الاسلام في دارفور، فهم بطبيعة الحال وفدوا على هذا الاقليم وهم مسلمون، ذلك أن انتشار الاسلام في بلادهم الأصلية في غرب افريقيا كان اسبق منه في دارفور، اذ ظهرت هناك ممالك اسلامية توالى وراء بعضها منذ القرن الحادي عشر للميلاد مثل مملكة التكرور وغانة ومالى وسنفي، وعاش الفلان في رحاب هذه الممالك الاسلامية، ولما هاجروا الى دار فور حملوا معهم اسلامهم ونشروه بين الوثنيين في هذا الاقليم، وصارت لهم مكانة كبيرة عند السلاطين حتى استوزر اقدمهم فقيها فولانيا يدعى مالك الفتاوى، نسبة الى فوتا في غرب افريقيا، وقد تسبب هذا الفقيه في علو شأن الفلان في دار فور بعد أن دخلوا تحت امره، وصار يذب عنهم ويرفع من شأنهم في مجلس السلطان حتى أعفوا من دفع ما كانوا يدفعونه للسلاطين من مال وصاروا من أقوى القبائل والجماعات وأغناها<sup>(24)</sup>، حتى انهم اغاروا على قبيلة المساليط المجاورة لهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا منهم أموالا جزيلة من بقر وخيل ورقيق<sup>(25)</sup>، واشتغل بعضهم بالسحر حتى صاروا أكثر من غيرهم شهرة في هذه الناحية<sup>(26)</sup> وكان لهم تأثيرهم في نشر الاسلام بين القبائل القريبة منهم والمتصلة بهم اما الجماعة الثالثة التي هاجرت الى دارفور وساهمت في نشر الاسلام فيها هي جماعة التكرور والتكرور شعب يسكن اصلا فوتا السنغالية وتنتشر منازلهم فى أنحاء من افريقيا الغربية على نهر السنغال الأعلى ونهر النيجر وفوتا جالون، ويعيشون كذلك فيما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد وخاصة في سكوتو<sup>(27)</sup> وكان التكرور أو التكارنة من أسبق الشعوب السودانية في اعتناق الاسلام الذي كان قد تغلغل في فوتا السنغالية حوالى منتصف القرن الحادي عشر للميلاد عند بداية حركة المرابطين وقد اخلص التكارنة للاسلام وقاموا على نشره حتى أصبح لفظ تكرور مرادفا لكلمة مسلم<sup>(28)</sup>، مما أعلى من شأنهم حتى جرى العرف عند العرب على اطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الاسلام والتي كانت تمتد من المحيط الأطلس الى حدود وادى النيل، وأصبحت كلمة تكروري في نظرهم مرادفة لكلمة سوداني، وتبعهم

(17) المصدر السابق، ص 145

(18) أنظر خريطة التونسي رقم 1

(19) التونسي: نفس المصدر، ص142

(20) أنظر خريطة التونسي رقم 2

(21) التونسي: نفس المصدر، ص133

(22) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، سنة 1395هـ، 1975

(23) التونسي نفس المصدر: ص 133

(24) التونسي نفس المصدر: ص139

(25) المصدر السابق، ص126

(26) المصدر السابق، ص278، 281، 325

(27) دائرة المعارف الإسلامية، تعريب إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، طبعة دار الشعب، مصر، بدون تاريخ، ج10، ص11.

(28) المرجع السابق، ط3، ص13-14

في هذا المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية<sup>(29)</sup> واصبح السكان في هذه البلدان وحتى عصر التونسي اذا سالت ايا منهم عن بلاده قال من التكرور، سواء كان من بورنو ام من باجرمي او واداي او غيرها<sup>(30)</sup>، أو حتى من دار الزغاوة الذين يضررون فيما بينهم بعض التكرور<sup>(31)</sup>.

ولذلك صار لفظ التكرور يدل على جميع المهاجرين من هذه البلدان الى السودان الشرقي حيث تفرقوا في جهاته ولا سيما في دارفور و كردفان وسنار وكسلا، واتخذوا اللغة العربية لغة لهم ونسوا لغتهم الأولى، وتخلقوا باخلاق العرب وعاداتهم<sup>(32)</sup>، وكانت لهم مساهماتهم في مجال نشر الاسلام بين الوثنيين في دارفور، بل وفي كل مكان نزلوا فيه

### ثانيا: احاطة الاسلام بمعظم جهات دارفور :

معروف أن البلاد التي تحيط بدارفور هي بلاد النوبة من الشرق، والصحراء المصرية والليبية وليبيا وتونس من الشمال، والممالك الكائنة في حوض تشاد من ناحية الغرب وفي هذه الأماكن والبلدان كان الاسلام قد انتشر قبل أن ينتشر في دارفور بعصور وقرون .

أن بلاد النوبة بشقيها (مقرة وعلوة) والتي تقع في شرق دارفور كان العرب قد هاجروا اليها زرافات ووحدا منذ أن وصل الاسلام الى مصر. ونتج عن ذلك أن انتشر الاسلام في هذه البلاد بالتدريج حتى اذا كان عام 1333م تحولت مملكة مقرة المسيحية الى دولة اسلامية، وانتشر الاسلام في مملكة علوة المسيحية حتى تحولت هي الأخرى الى مملكة اسلامية في بداية القرن السادس عشر للميلاد عندما انتقل الحكم الى اسرة الفونج، فتسمت المملكة الاسلامية الوليدة بهذا الاسم وصارت تعرف باسم مملكة الفونج الاسلامية. والملفت للنظر في أمر هذه المملكة أن البيت الحاكم فيها انحدر اليها اما من الشرق أو من الغرب، وكلاهما له دلالة فيما نذهب اليه من تأثير الاسلام فيها على دارفور والرأى الذى يقول أن الفونج اتوا من الشرق هو رأى الأستاذ الشاطر بصيلي الذي يرى أن دولة اسلامية قامت فى الجزء الغربي من أريتريا في القرن الخامس عشر للميلاد وانها ترجع في أصولها الى البيت الذي كان يحكم اقليم الدجن منذ القرن الثاني للهجرة/ التاسع للميلاد على وجه التقريب، وان سلطان بيت الدجن وبيت فنج أمتد الى عيذاب شمالا فيما تحكيه المخطوطات المحلية وتشير اليه نقوش نقارة السلطان عمارة دونقس وهو أول سلاطين مملكة الفونج الاسلامية والتي تقول أيضا بأن جدهم الكبير كان يعيش في (مولا) او (الامول) التي تقع في جنوب غرب ايتريا، وتناسل منه ملوك حكموا هذه المنطقة حتى كان حكم السلطان عدلان والد السلطان عمارة دونقس<sup>(33)</sup>، وأن هذا السلطان وهو السلطان عمارة تولى الحكم حوالي عام 1497م، وصار ينتقل بين الأونة والأخرى في ارجاء مملكته التي امتدت الى حوض النيل الأوسط واحتفظ بكرسى الملك في (لامول)، حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر للميلاد على وجه التقريب حيث انتقل الى عاصمته الجديدة فى ( سنار) في حوض النيل الأزرق وانقطعت صلته بعاصمته الأولى لامول<sup>(34)</sup>

وهذا الكلام يدل على أن الاسلام كان قد انتشر في شرقي السودان قبل وصول الفونج الى سنار بكثير، وعلى أن وصولهم الى السلطة فيها كان بمساعدة العرب الذين تواجدوا فيها منذ قرون عديدة وكونوا عدة ممالك ومشيخات

(29) المرجع السابق، ص12

(30)التونسي: نفس المصدر، ص135

(31) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص135

(32)نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ط1، القاهرة، سنة 1321هـ/ 1903م، ص64

(33)الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط، ص215- 231

(34)المرجع السابق، ص215

اسلامية في حوض النيل الأوسط<sup>(35)</sup>، ثم تحالف زعيمهم عبد الله جماع شيخ عرب القواسية من جهينة واصحابه الآخرون مع آل فنج وتمكنوا من القضاء على مملكة علوة المسيحية واقامة مملكة الفنج الإسلامية مكانها في عام 110 هـ / 1505م<sup>(36)</sup> واتصلت هذه المملكة الاسلامية الوليدة بالقوى الاسلامية المجاورة، ومنها سلطنة دارفور التي كانت على اتصال بها قبل ذلك بكثير، فكانت دارفور تستعين بفقهاء سنار، وشجع سلطان دارفور سليمان سولون هؤلاء الفقهاء على النزوح إلى بلاده مما أدى إلى انتشار الاسلام فيها.<sup>(37)</sup>

اما الرأي الثاني الذي يقول بان الفونج اتوا من الغرب من حوض بحيرة تشاد وهو رأى بالمر واركل اللذين يقولان بان سنار لم يقطع اتصالها بدارفور وبرنو، وان تاريخ برنو الذي كتبه الامام احمد فرتوا، وهو احد العلماء البرنوبيين في عهد الماي ادريس الوما ملك برنو 1012/979هـ - 1603-1571 م، يشير الى امتداد نفوذ برنو شرقا الى وادي النيل، وان الروايات المحلية في هذه البلاد تشير الى أن سلطنة سنار اسسها الماي عثمان الذي طرد من برنو عام 891هـ / 1486م، وان عمارة دونقس أول سلاطين سنار من سلالة الماي عثمان، لا سيما إذا عرفنا ان لفظ عمارة يتكرر في جدول أسماء ملوك بورنو<sup>(38)</sup>

والدلالة التي يمكن أن تستخلصها من هذه الآراء على افتراض صحتها أن الفونج اقبلوا من الغرب من حوض بحيرة تشاد، واذا كان هذا الأمر صحيحا، فلا بد أنهم حين اقبلوا الى سنار مروا بدارفور واستقروا فيها زمنا أو فترة من الوقت، وأنهم كانوا في تلك الفترة مسلمين لأنهم أتوا من دولة اسلامية، مما يجعل تأثيرهم في نشر الاسلام في دارفور أمرا محتملا اثناء اقامتهم بها، ومن المحتمل أيضا أنهم عندما غادروها الى ستار خلفوا فيها بعضا من قومهم المهاجرين معهم، وكان لهؤلاء المستقرين الجدد أثرهم في نشر الاسلام في دارفور .

وسواء جاء الفونج من الشرق أم من الغرب فانهم في النهاية احاطوا بدارفور من ناحيتها الشرقية وكانوا قوة اسلامية لا بد أنه كان لها تأثيرها في نشر الاسلام في دارفور التي لم تنقطع الصلات بينها وبين وادي النيل الأوسط سواء قبل ظهور الاسلام في هذا الوادي ام بعد ظهوره، واذا كان الاسلام قد احاط بدارفور من ناحية الشرق على هذا النحو، فانه احاط بها أيضا من ناحية الشمال وفي هذا الشمال تقع الواحات المصرية والصحارى الواسعة الممتدة منها غربا الى فزان وكاوار وفي هذه الواحات وتلك الصحراء انتشر الاسلام ووفد منهما الى دارفور ففي الواحات المصرية التي تقع في الصحراء الغربية وخاص الواحات الداخلة والخارجة انتشر الاسلام في نواحيها الخمس التي انقسمت اليها، وأشار ابن حوقل الى ذلك كما اشار الى من نزلها من العرب فقال ان فيها من بنى هلال عدة غزيرة وامة كثيرة<sup>(39)</sup>، كما قال ان هذه الواحات كانت في يد آل عبدون الذين كانوا يرحبون بالتجار، وبلغت كثرة المسلمين في هذه الواحات ان اتخذوا فيها نحو خمسة عشر منبرا، ولكل قرية من قرى هذه الخمس نواحي مساجد معمورة بالصلوات الخمس<sup>(40)</sup>

وقد اشار المسعودي المعاصر لابن حوقل الى هذه الحقيقة : أي الى انتشار الاسلام في هذه الواحات وقال ان حاكمها كان رجلاً مسلماً وكان يسمى عبد الملك بن مروان، وهو رجل من لواتة<sup>(41)</sup>، ولعل ابن مروان تحريف لكلمة ابن عبدون التي ذكرها ابن حوقل، أو لعله كان أحد الحكام الذين لم تصل أسماؤهم الى ابن حوقل وبعد ذلك

(35) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبه في العصور الوسطى/ الانجلو المصرية، سنة 1380هـ / 1960م، ص204

(36) المرجع السابق، ص206

(37) حسن محمود ، نفس المصدر، ص204

(38) المرجع السابق، ص314-315

(39) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص145

(40) المصدر السابق، ص145، 146

(41) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، سنة 1403هـ / 1923، ص26

بعده قرون اشار الادريسي الى عمران الواحات الداخلة والتي تقع في صحرائها مدينة سنترية التي يسافر التجار منها الى ارض كاوار وسائر بلاد السودان وأوجله (42)

وقد اشدت ساعد الاسلام في هذه الواحات كثيرا حتى نسب اليها قوم من أهل العلم والفقه والأدب، منهم الشيخ عبد الغنى بن بازل بن يحيى الواحى المصرى ابو محمد، الذي روى عن أبي الصلت الطبري، وابي الحسن الماوردى وآخرين، وكان يعيش في القرن الخامس للهجرة ومنهم الشاعر ابو عبد الله الطباخ الواحى الذي أورد ياقوت الحموى شيئا من شعره (43)

والجدير بالذكر أن هذه الواحات كانت تتصل بصعيد مصر بعدة طرق، كما أنها كانت تتصل ببلاد النوبة بيرية تنتهى الى السودان (44) عامة ودارفور خاصة عن طريق ما يعرف بدرب الأربعين، كما أنها كانت تتصل ببلاد كاوار التي تقع شمال بحيرة تشاد وما وراءها من بلاد السودان، ولذلك فان هذه الواحات وخاصة الداخلة والخارجة اصبحت واسطة العقد أو مركز اتصال يصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب (45)، وذلك بواسطة الطرق التجارية التي ربطتها بهذه الجهات وقد أفاد هذا الموقع الهام في غنى أهل الواحات وثرانهم (46)، كما أفاد في عملية التعريب وكذلك في عملية نشر الاسلام بين الزغاوة الذين أشرنا اليهم والى انتشار الاسلام بينهم منذ عصر ابن سعيد المغربي من ناحية، وبين اهالي دارفور من ناحية أخرى.

وفى ناحية الغرب من دارفور كانت هناك ممالك اعتنقت الاسلام قبل ظهوره في دارفور بقرون عديدة، وكان لها تأثيرها في نشره في هذا الاقليم . ومن أهم هذه الممالك مملكة الكائم التي تحولت الى دولة اسلامية بتحول الأسرة الحاكمة فيها الى الاسلام في عام 1045/هـ 478م (47) وقد اشارت المصادر التاريخية الى انتشار الاسلام في هذه المملكة، فقال ابن سعيد المغربي الذي عاش في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد ان اهل كانم مسلمون (48)، وأن سلطانها مشهور بالجهاد وفعال الخير، وهو من ولد سيف بن ذي يزن وعنده الفقهاء والعلماء (49) وقال ابن خلدون (ت808هـ / 1405م) أن الكائم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم (50)، وقال الفلقشندي (ت821هـ- / 1418م) أن سلطان الكائم من بيت قديم في الاسلام (51).

وعلى ذلك فان الاسلام تغلب على بلاد الكائم في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد ووصل اليها قبل ذلك بكثير عن طريق مصر والنوبة وفزان بليبيا (52)، مما كان له أثره في زحف الاسلام من الكائم والممالك التي تدور في فلكها الى دارفور شرقا والى البلاد التي تقع جنوب فزان شمالا . فقد دخلت بلاد البربر التي تقع في الشمال

(42) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص122-124

(43) ياقوت: نفس المصدر، ج5، ص342

(44) الادريسي، نفس المصدر، ج1، ص122-124

(45) ابن حوقل: نفس المصدر، ص143-145، الاصطخرى: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر، مصر، سنة 1961، ص41، ياقوت، نفس

المصدر، ج5، ص342

(46) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة محمد الأخضر، دار العرب الإسلامية، بيروت، ط2، سنة 1983م، ج2، ص156

(47) أحمد شلبي: نفس المرجع، ج6، ص138

(48) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص138

(49) المصدر السابق، ص27-28

(50) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص199

(51) الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء الإسلام، طباعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، بدون تاريخ، ج5، ص281

(52) نعيم قداح، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق، بدون تاريخ، ص84، توماس أرنولد: الدعوة الى الإسلام، القاهرة، ج3، 1970م الشاطر

بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي الوسط، ص415، حسن محمود، نفس المرجع، ص235.

الغربي للكائم في طاعة سلطان الكانم وانتشر بينهم الاسلام على يد ابن جبل (الماى اوم بن عبد الجليل) سلطان هذه البلاد. (53)

كما ان الزغاويين الذين تقع بلادهم في الشمال والشمال الشرقي لبلاد الكائم انتشر بينهم الاسلام ودخلوا أيضا في طاعة سلطان الكانم (54)، وكذلك كان الحال في مملكة كاوار التي تقع شمالي الكانم فقد تحولوا الى الاسلام ودخلوا و تحت طاعة الكانمي (55) .

وفى شرقى كاوار وشمالي الكانم تقع مدينة (جاجة)، وكانت هذه المدينة عاصمة المملكة واسعة (56)، سماها الحسن الوزان باسم (جاوجا) وقال أنها تتاخم اقليم بورنو غرب بحيرة تشاد من ناحية الغرب، وتمتد شرقا الى حدود مملكة النوبة، وتمتد شمالا الى صحراء سرت في ليبيا وتخوم مصر، ويبلغ طولها من الغرب الى الشرق نحو خمسمائة ميل، وقال عن أهلها أنهم اغنياء وأنهم قوم احرار حتى تمكن منهم عبد زنجى منذ مائة سنة في عام 823هـ / 1420م حيث قام بقتل سيده التاجر واستولى على أمواله وثيابه وأسلحته ووزعها على اصدقائه، واشترى الخيل واخذ يشن الغارات على اعدائه (57) .

وقد تضاعف جنود هذا المغتصب واشتد ساعده وزاد بطشه حتى تم تنصيبه رئيسا وأميرا على هذه البلاد، وخلفه ابنه بعد موته، ثم جاء بعده أحد أخوته واسمه موسى، ثم خلفه أحد احفاده المدعو عمر وهو الأمير الحالي الذي كان معاصرا للحسن الوزان الذي قال عنه أنه وسع كثيرا من رقعة أملاكه، ونال صداقة سلطان مصر ورعايته بفضل هداياه ومجاملاته الكثيرة، وحصل منه على الأسلحة والأقمشة والخيل التي كان يدفع فيها ضعف ثمنها متظاهرا بالسخاء، مما جعل تجار مصر لا يقصدون غير بلاطه، وفقراء القاهرة يفدون اليه حاملين بعض الهدايا الجميلة النادرة، فيدفع اليهم ضعف ثمنها (58)، وقصة هذا العبد وأسماء أولاده واحفاده الذين حكموا من بعده تدل على أنهم كانوا مسلمين وحكموا بلادا اسلامية .

وقد انتشر الاسلام ايضا في البلاد التي تقع شرقى هذا الجزء من الصحراء الليبية والذي كان يسمى (تاجوه) التي كانت تبعد عن النيل بحوالي مائة ميل، ودخل أهلها ايضا في طاعة ملك الكائم (59) ويشير ابن سعيد الى ان تاجوه كانت قاعدة للزغاويين (60) الذين انتشروا جنوبا حتى وصلوا الى شمالي دارفوه، يتيم كما انتشروا أساسا في الصحراء الواقعة شمال شرقي بحيرة تشاد .

وهذا يدل على أن مملكة الكانم سيطرت على البلاد التي تقع في شمالها حتى فزان بما فيها كاوار، والتنيو أو التدا الذين يسكنون هضبة تيبستي (61)، وكذلك على الشعوب والقبائل التي تسكن بين جنوب هذه الهضبة حتى شمالي دارفور، وفى شرقها حتى بلاد النوبة، مما يؤكد ما ذهب اليه أركل وغيره من أن سلطان الكانم وخاصة في عهد ملكها العظيم المسمى دوناما دباليمي ( 618-648هـ / 1221-1250م امتد الى جزيرة سان فى نهر النيل في عام 638هـ / 1250م)، وكذلك على كل الطرق التجارية التي تمر في هذه البلاد ومنها طريق درب الأربعين الذي

(53) ابن سعيد: نفس المصدر، ص29

(54) المصدر السابق، ص28-29

(55) المصدر السابق، ص29-48

(56) المصدر السابق، ص27

(57) الحسن الوزاني، نفس المصدر، ج2، ص177-178

(58) المصدر السابق، ج2، ص178-179

(59) ابن سعيد: نفس المصدر، ص30

(60) المصدر السابق، ص30

(61) ابن خلدون، نفس المصدر، ج1، ص199

يصل دارفور بالبلاد المصرية، وسيطر هذا الملك على بلاد التيه وفزان في الشمال، وجنوبا استولى على شمالي دارفور (62).

وهكذا اتسع نفوذ الأسرة الحاكمة في الكانم حتى بلغ حدود مصر شرقا وفزان شمالا ونيجيريا غربا، وصار لها علاقات تجارية مع طرابلس ومصر، وبهذا اتسعت حدودها في كل اتجاه وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد (63)، مما جعل تأثيراتها الاسلامية تنذع في الأماكن والبلدان المجاورة لها وخاصة دارفور التي ترتبط معها بروابط عديدة، ولذلك فان أركل يقول أن ثقافة دارفور يبدو أنها اشتقت أو نبعت كثيرا من بلاد الكانم والبورنو أكثر من غيرهما من البلدان الأخرى ويبالغ أركل فيقول ان الكانم كانت هي القوة الافريقية الوحيدة الكبيرة التي من المحتمل أن تكون قد مارست تأثيرا مباشرا على تاريخ دارفور خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد، وان هذا التأثير لم يضعف الا بعد دخول العرب الى دارفور في القرن الرابع عشر للميلاد (64).

وهكذا احاط الاسلام بمعظم الجهات التي تحيط بدارفور، واصبح سائدا في الاقطار المجاورة (65) مما جعل أمر انتشار الاسلام فيها شيئا لا مفر منه، ولم يكن من المعقول أن ينتشر الاسلام على هذا النحو في البلدان التي احاطت بدارفور من الشرق والشمال والغرب ويقف عند حدود هذا الاقليم، خاصة وان الاسلام كان قديما في بعض هذه البلاد مثل مصر التي كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع دارفور وكما كان للتجارة شأنها في انتقال بعض العرب الى دارفور، كذلك كان لها شأنها الكبير في انتقال الاسلام مع التجار أيا كانوا الى هذا الاقليم الذي احاطت به دول عربية و اسلامية عديدة من جميع جهات عدا الجنوب، مما كان له أثره الكبير في تدفق الاسلام اليه، لا سيما وان هذا الاقليم لم تقم فيه مملكة مسيحية، ولا كنيسة مسيحية يمكن أن تقف عائقا امام انتشار الاسلام فيه كما حدث في مملكتي مقرة وعلوة المسحيتين، فقد كانت دارفور على الوثنية ولم يثبت انتشار المسيحية بها، (66) مما سهل على الاسلام اقتحام هذا الاقليم دون صعوبة بعد ان احاط به من معظم نواحيه، خاصة وأن هناك عاملا آخر ساعد على هذا الاقتحام وقوى من شأنه هذا العامل هو الحج.

### ثالثا: تأثير الحج والحجاج في نشر الاسلام في دارفور :

أن انتشار الاسلام في بلاد السودان الممتدة من المحيط الأطلسي الى وادي النيل ادى الى وفود قوافل ضخمة وعديدة بغرض الوصول الى بيت الله الحرام في مكة لأداء فريضة الحج وقد سلكت هذه القوافل طريقين، أولهما طريق شمالي عبر ساحل شمال افريقيا إلى مصر ومنها الى بلاد الحجاز، والثاني طريق يأتي من غربي افريقيا الى بلاد الكانم ومنها الى دارفور، ثم يتجه الى ساحل البحر الأحمر عبر السودان وادي النيل، ومنه عبر البحر الأحمر الى بلاد الحجاز (67)

ويبدو أن قوافل الحجاج عند وصولها الى دارفور كانت تسلك طريقين، أولهما يتجه شرقا من دارفور الى ميناء مصوع أو سواكن علي ساحل البحر الأحمر مخترقا النيل الأبيض والأزرق والثاني يتجه شمالا بشرق ويبدأ من دارفور ويتبع طريق درب الأربعين الى أسيوط، ومن هناك الى القاهرة، أو يتبع درب الأربعين حتى يصل الى الواحات الداخلة والخارجة، ومنها لا يتجه الى اسيوط في الشمال، وانما يتجه شرقا الى اسوان ومنها الى مبناء

(62) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص232

(63) حسن محمود: نفس المصدر، ص236، أحمد شلبي، نفس المرجع، ج6، ص291

(64) رجب عبدالحليم، المرجع السابق، ص233

(65) نفس المرجع، ص233

(66) حسن محمود: نفس المرجع ص279-325

(67) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي الأوسط، ص422، إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م، ص80

عذاب الذي يقع على ساحل البحر الأحمر ومنه الى بلاد الحجاز وقد تحول الحجاج القادمون من غرب افريقيا ووسطها الى هذا الطريق الأخير الذي يمر بدارفور وينتهي الى ميناء عذاب ابتداء من القرن الثاني عشر للميلاد، وذلك بسبب الحروب الصليبية التي كانت قائمة في بلاد الشام وفلسطين وكانت تهدد الجزء الشمالي من البحر الأحمر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد (68)

وقد وافتنا الروايات التاريخية بأخبار طيبة عن رحلات ملوك غرب افريقيا مثل ملوك مالي وصنغاي، وملوك وسط افريقيا مثل ملوك الكانم والبرني الى بلاد الحجاز عبر مصر (69)، وكانت قوافلهم يصحبها كثير من التجار وكثير من الحجاج من رعاياهم الذين كان بعضهم يفضل البقاء في المدن والمراكز التجارية الواقعة على طول الطريق من بلادهم الى بلاد الحجاز سواء في مصر أو في دارفور، حيث كان بعضهم يصاهر اهالي دارفور ومشايخ قبائلها الذين كانوا يحملون القاب الملوك والسلاطين والمثال على ذلك أن زغاوة دارفور وغيرهم من الزغاوة الآخرين يدعون أنهم من اصل برنوي، لكونهم نتيجة لزواج الحاج على البرنوي المتعلم الذي كان في طريقه الى الحج وتوقف في دار الزغاوة بدارفور وصاهر سلطانها (70)

وبجانب وجود بعض الحجاج الكانميين والبرنويين في دارفور، وجود بعض التكرارة أو التكرور، وكذلك الفولاني في دارفور، ولم يكن وجود هؤلاء الناس فيها الا نتيجة لهجرات قاموا بها من بلادهم، أو نتيجة للتخلف في دارفور عند عودتهم من بلاد الحجاز وعلى أية حال فقد كان لموقع دارفور كمعبر للحجاج أثر كبير في نشر الاسلام بين أهلها الذين اقبلوا على اداء هذه الفريضة، حتى صار اكثرهم حجاجا (71)، خاصة وأن الحج كان يهب صاحبه مركزا اجتماعيا وادبيا مرموقا بين أهله وعشيرته وفي محيط قريته، وكان العرب في دارفور واهاليها الذين اعتنقوا الاسلام يحرصون على اداء هذه الفريضة بما يصاحب ذلك من مظاهر البهجة والفرحة، ومن حفلات كانت تنشد فيها الأغاني والأناشيد الدينية المؤثرة، سواء قبل قيام الحجاج برحلتهم أو بعد عودتهم منها، وكل ذلك كان يلفت نظرا الوثنيين في دارفور، وكانوا في الغالب يشاركون في هذه الاحتفالات مما كان يترك اثرا في نفوسهم ويدفعهم - بجانب عوامل أخرى - لاعتناق هذا الدين الذي يرفع صاحبة الى هذه المكانة الاجتماعية المرموقة.

وهكذا تعددت وسائل اتصال دارفور بالبلاد الاسلامية المحيطة به، وكان الحجاج والتجار هم أهم وسائل هذا الاتصال، مما ترك اثرا كبيرا في عملية نشر الاسلام والثقافة العربية في هذا الاقليم، وفسحت الوثنية الطريق بسرعة أمام الاسلام، وأصبح النظام القبلي العربي نظاما عاما مالوفا (72)، واصبح اتصال دارفور بالدول الاسلامية قويا سواء في بلاد النوبة أم في مصر التي كان يذهب اليها الطلاب لتلقي العلم في الأزهر، ولهم فيه رواق معروف باسم رواق دارفور، كما اتصل أهل دارفور بتونس، وذهب كثير منهم الى كاتو وتنبكت طلبا للعلم (73)، كما اتصلوا ببلاد الكانم التي كان لها أثرها القوي في أهل دارفور وثقافتهم وفي تحولهم الى الاسلام) نظرا لعدم وجود فواصل جغرافية كالجبال أو البحار تحول دون الاتصال بين البلدين، بل أن الاتصال بينهما كان اتصالا دائما ومستمرا،

(68) حسن محمود، نفس المرجع، ص56

(69) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي الأوسط، ص422، حسن محمود، نفس المرجع، ص237، إبراهيم طرخان: نفس المرجع، ص63-64-79

(70) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص235

(71) محمد بلو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، سنة 1964، ص29

(72) رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص236

(73) نعوم شقير: نفس المرجع، ج2، ص146، عبده بدوي: مع حركة الإسلام في أفريقيا، القاهرة، سنة 1970، ص131، حسن محمود، نفس

المرجع، ص139

وإن وجود كثير من القبائل العربية وغير العربية التي كانت تنقسم بينهما فيسكن بعض القبيلة في دارفور، ويسكن بعضها الآخر في بلاد الكانم وما يجاورها من ممالك صغيرة مثل واداي وبادجرمي وغيرهما .

وإذا كان للعوامل السابقة التي تحدثنا عنها هذا الأثر في ربط دارفور بما يقع حواليها من بلاد، مما ساعد على نشر الاسلام فيها، فإن طبيعة الأرض وطبيعة هذا الاقليم الجغرافية وطبيعة حياة العرب فيه كان لها أثرها في نشر الاسلام بين سكانه أيضا.

#### رابعاً: طبيعة حياة العرب وطبيعة دارفور الجغرافية واثرها في نشر الاسلام :

ان القبائل التي نشرت الاسلام في دارفور هي قبائل عربية في الأساس وهذه القبائل كانت اصلاً قبائل تسكن البوادي واطراف المدن والقرى في صعيد مصر وبلاد النوبة وغيرها من البلدان التي هاجرت منها الى دارفور، فهي اصلاً قبائل بدوية رعوية أو شبه رعوية والبدو عادة لا يستقرون في مكان، وإنما هم في انتقال دائم وراء مصادر الماء والعشب والكلاب اللازمة لرعى أبلهم ومواشيهم وقد عبر التونسي عن هذه الحقيقة في حديثه عن قبائل العرب في دارفور فقال ان البقارة منهم أكثرهم أهل ثروة لا بالفون الحاضرة، بل يتبعون الكلاب أينما كان (74) .

والمعروف أن القبائل العربية في دارفور انقسمت الى بقارة وابلية، وكان الفريقان من البدو الرعاة، وكان البقارة يعتمدون في معاشهم على رعى البقر، ومن ثم سموا بالبقارة، أنهم سكنوا الجزء الجنوبي من دارفور، وكانوا يأخذون مواشيهم في فصل الجفاف الى المناطق الجنوبية والى مشارف اقليم الزنوج وحول الأراضي النهرية الجنوبية التي تقع شمال بحر العرب وبحر الغزال ثم يتجهون في فصل الأمطار وخاصة في شهري ابريل ومايو شمالاً الى الأراضي التي كانت تنبت فيها الاعشاب الموسمية نتيجة لسقوط الامطار وهم على ذلك كانوا في رحلتهم الى الجنوب وفي رحلتهم الى الشمال بين خطي عرض 9 و 13 شمال خط الاستواء، وهي منطقة تشمل النصف الجنوبي من دارفور وكذلك الأراضي التي تقع جنوباً حتى بحر العرب الذي يعتبر الحد الجنوبي للبدو البقارة العرب، والذي سمي باسمهم حيث تغلب الأسماء العربية على المسميات الجغرافية في هذه المنطقة (75) .

وطبيعي أن هذه القبائل كانت في انتقالها ورحلاتها تنشر عاداتها وتقاليدها وأهم من ذلك كانت تنشر ما تحمله من دين ولغة خلال عمليات الزواج والمصاهرة والاختلاط التي كانت تتم بينهم وبين الأهالي المحليين بكثرة، حتى أنهم صاروا في النهاية يحملون الوان هؤلاء الأهالي واشكالهم الجسمانية بمرور العصور والأيام، نتيجة لهذا التداخل الذي تم بين الفريقين (76)، كما أنهم بزواجهم من الدارفوريات خلفوا جيلاً من المولدين اعتنق دين الآباء من العرب، مما زاد من شدة تيار التحول الى الاسلام الذي اخذت رقعته تتسع نتيجة لتوالي الزواج والاصهار الى شعب الفور (77)، مما حدا ببعض المؤرخين الأجانب إلى القول بان العرب انتصروا عن طريق الزواج المختلط أكثر من انتصارهم بقوة الجيوش (78) .

على أن هذه القبائل تحولت الى تربية الماشية من ابقار وغيرها وتركت رعى الابل الذي كانت تعتاده في بلادها الأصلية، لأن الأراضي التي هاجرت اليها في جنوب دارفور لم تكن تصلح لرعى الابل، واصبح اسم البقارة

(74) التونسي: المصدر السابق، ص 139

(75) دائرة المعارف الإسلامية، ج 6، ص 289-291، ج 7، ص 456، مارة "البقارة"

(76) التونسي: نفس المصدر السابق، ص 144، ص 145، عبدالله حسين: السودان القديم والجديد، القاهرة، 1945م، ص 222، حسن محمود: نفس المرجع ص 209، دائرة المعارف الإسلامية، ج 7، ص 457

(77) حسن محمود: نفس المرجع، ص 209

(78) رجب عبد الحليم: نفس المرجع، ص 239

لصيقا بها ولا يطلق الا عليها وعلى القبائل العربية التي ترعى الماشية أيضا في وادى وكردفان، اما اخوانهم من العرب في الكانم والبرنو فقد اطلق عليهم لفظ (الشوا) (79)، وربما كان هذا الاسم مشتقا من كلمة الشاه .

اما الأبالة فى دارفور فقد كانوا يسكنون النصف الشمالي منها وينطلقون في تجوالهم الى الصحراء المترامية في الشمال والشرق والغرب، وكانوا يحرسون القوافل المتجهة الى دارفور من هذه الجهات، ويقدمون لها قرب الماء واللبن قبيل وصولها الى دارفور في مكان يقع على مسيرة عشرة أيام من حدودها الشمالية يسمى بئر الزغوى أو بئر النظرون كانت تستريح فيه القوافل وتنال حظها من الطعام والشراب والماء (80) وتتكرر عملية تقديم هؤلاء العرب لهذه القوافل ما تحتاجه عند مكان آخر يسمى بئر المزروب الذي يعتبر اول اعمال دارفور، ويقع في وادي مسروق المعروف الآن بوادي زروق الواقع عند خط عرض 15 وخط طول 25 درجة (81) وبطبيعة الحال فان الأبالة كانوا أكثر من البقارة انتقالا ورحلة، لطبيعة الابل التي كانت تساعدهم على ذلك، ولطبيعة المنطقة التي كانوا ينتقلون في أرجائها، فهي سهول مكشوفة ذات اعشاب وحشائش قصيرة لا تعوق تقدم ابلهم يتلون ودارفور عبارة عن اراضي سهلية منبسطة تشقها من الشمال الى الجنوب سلسلة من الجبال تسمى جبال مرة، وتنبسطة السهول الرملية حول هذه الجبال من جميع الجهات، مما أعطى فرصة واسعة لحركة قبائل البدو من العرب، ولذلك فان هذه القوافل لم تعش الا فى هذه السهول وعلى اطرافها حيث أنها ملائمة لرعى ابلهم ان كانوا ابالة، أو بقرهم ان كانوا بقارة.

وقد ساهم الأبالة ربما أكثر من البقارة فى نشر اللسان العربي والدم العربي والاسلام والثقافة العربية الاسلامية في الجزء الشمالي من دارفور، وحيثما كانوا يرتحلون وينتقلون وهكذا انتشر الاسلام في معظم نواحي دارفور نظرا لطبيعة القبائل التي نشرته فيها، ونظرا لطبيعة ارض دارفور ذاتها، ولم يستطع الاسلام التقدم جنوب هذا الاقليم بسبب عدم ملائمة الأرض لزحف البدو حيث توجد المستنقعات والأمراض الفتاكة (82) التي كانت متوطنة حول روافد بحر الغزال وفي الأرض التي تمتد في الجنوب بما لا يلائم أهل الابل أو الماشية التي كانت تفتك بها ذبابة تسمى تنسي وهو نفس ما حدث في بلاد النوبة وفى بلاد الحبشة، اذ وقفت الشلالات والجنادل عقبة كأداء امام زحف الاسلام حتى القرن الرابع عشر للميلاد في بلاد النوبة، واستطاعت هضبة الحبشة المرتفعة أن ترد الاسلام عنها أكثر من مرة، ولم يستطيع الاسلام ان يتوغل في بلاد الحبشة الا من ناحية الشرق والجنوب الشرقي حيث لم يستطع أن ينفذ اليها من الشمال عبر الصحراء المصرية أو عبر بلاد البجة الا في وقت متأخر (83)، واذا كانت طبيعة حياة العرب في التنقل والترحال في دارفور قد ادت الى انتشار الاسلام فى معظم جهات هذا الاقليم في العصور الوسطى، فان هذه الطبيعة ذاتها هي التي جعلت هذا الانتشار وان كان عامراً الا انه كان بطيئاً، بمعنى أنه استغرق عددا كبيرا من السنين قد تصل الى قرون، اذ لم تكتمل حركة انتشار الاسلام ويصبح الاسلام دين الدولة الرسمي الا على يد سليمان سولون الذي اقام سلطنة دارفور الاسلامية في عام 848هـ-1445م، وكان أول سلطان لها (84)

ذلك أن العرب أتوا إلى دارفور فى شكل قبائل بدوية اشتغلت بالرعي وأكثرت من الترحال، فلم تساعدها ظروف البيئة الطبيعية على الاستقرار والتأثر السريع فى نشر الاسلام، ذلك أن اهتمامهم الرئيسي كان منصبا في

(79) دائرة المعارف الإسلامية، ج7، ص455، 457

(80)التونسي: نفس المصدر، ص51-52-54

(81) المصدر السابق، ص54

(82) حسن محمود: نفس المرجع، ص67

(83) المرجع السابق، ص67

(84) المرجع السابق، توماس ارنولد: نفس المرجع، ص323

البحث عن المراعي التي لا تقوم حياتهم الا بها (85) ، ولذلك لم يقوموا بحملات تبشيرية اسلامية واسعة، بل اكتفوا في الغالب بمساكنة السكان الأصليين والتقرب اليهم ومصاهرتهم، وترك الاسلام ينتشر تدريجيا بين هؤلاء السكان بفعل المخالطة والمصاهرة(86) دون تبشير ودون دعوة مباشرة، ولعب الايحاء والتأثر التلقائي بالعرب والمسلمين المقيمين في دارفور دوره في تحول الناس فيها الى الاسلام.(87)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان الهجرات العربية التي اتجهت الى دارفور لم تكن فتحا عسكريا يمكن ان يقارن بما قامت به بعض هذه الهجرات في البلدان الأخرى، وانما كانت هجرات سلمية تنتسرب الى الحياة في هدوء، وتحتاج الى عنصر الوقت لتحقيق غاياتها واهدافها(88)، سواء في نشر الاسلام ام في غير ذلك من الأمور وترتب على ذلك نتيجتان: أولاهما هي انتشار الاسلام في ببطء، وثانيهما هي وجود بعض الوثنيين في دارفور حتى اليوم .

والدليل على ذلك انه في عصر التونسي أي في بداية القرن التاسع عشر للميلاد كان يوجد سبعة ملوك أو بمعنى اصح سبعة حكام اقاليم وثنيين من بين سبعة وعشرين ملكا في دارفور(89)، كما اشار سلاطين باشا في أوائل القرن الحالي أن قبيلة البدايات التي تسكن في الشمال الغربي من دارفور لا تزال على الفتشية، وأن أهلها يعبدون الشجر ولهم عاداتهم الوثنية في أرث الابن لأموال أبيه وزوجاته.(90)

وقد اشار التونسي ايضا الى بعض العادات ذات الطابع الوثني والتي ظلت ملازمة لكثير من عامة الناس(91)، كما أشار لظاهرة انتشار السحر والشعوذة(92) و اشار نعوم شقير الى غير ذلك من المعتقدات الباطلة كالتكهن والتطير والعزائم السحرية والطلاسم وغير ذلك مما ياباه الشرع ولا يأمر به الكتاب والسنة، ولا يسلم به المسلمون.(93)

ويخبرنا المؤرخ السوداني الشاطر بصيلي عبد الجليل بان هذه المعتقدات والأساطير لم تكن وليدة الهجرات العربية، بل هي عريقة في القدم وتوارثها القوم من آبائهم وأجدادهم عن أقدم العصور الوثنية، واخذت تتطور مع انتقالها من عصر الى عصر، حتى جاء العهد الاسلامي فتمسك بها بعض الناس الذين رأوا فيها فائدة لهم(94)، مما يدل على اثر البيئة المحلية في المجتمع الاسلامي الذي نشأ في دارفور في تلك العصور الغابرة وطبيعي أنه لا يمكن لأي مجتمع أن يتخلص تماماً من تأثيرات العصور السابقة عليه بسهولة وفي سرعة، سواء في الحياة الدينية أو غيرها من مظاهر الحياة الأخرى.

### الخاتمة:

وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن الاسلام انتشر في دارفور دون قهر أو اجبار، ودون سيف او تعنت او اكراه، فانتشاره في ببطء في دارفور على هذا النحو ووجود بعض الوثنيين حتى اليوم، لا يقلل من الجهد الكبير الذي تم بذله في سبيل نشر الاسلام في هذا الاقليم، ويكفي أن الصورة العامة لهذا المجتمع هي الصورة

(85) توماس ارنولد: نفس المرجع، ص323

(86) مكي شبكية: مملكة الفونج الاسلامية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1964، ص19

(87) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والوسط، ص16

(88) حسن محمود: نفس المرجع، ص296

(89) نعوم شقير: نفس المرجع، ج2، ص113-114

(90) نعوم شقير: نفس المرجع، ج1، ص194

(91) التونسي: المصدر السابق، ص159

(92) نفس المصدر، ص161، 164

(93) نعوم شقير: المرجع السابق، ج1، ص140

(94) الشاطر بصيلي: معالم تاريخ وحضارات السودان وادي النيل، القاهرة، ط1، 1955، ص53-54

الإسلامية، والصبغة الغالبة هي الصبغة العربية فهو مجتمع عربي مسلم لا يقل في ذلك شأننا عن غيره من المجتمعات الإسلامية في البلدان العربية والإسلامية الأخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى القبائل العربية التي هاجرت إليه على مدى عصور متتالية وقرون عديدة، وإلى تلك الدولة الإسلامية التي قامت فيه نتيجة لتطور الحركة الإسلامية وازدهارها فيه إلى درجة جعلت من قيام هذه الدولة أمراً محتوماً لا مفر منه ذلك أن ظهور هذه الدولة كان يتوقف تماماً على عمق التيار الإسلامي وعلى صبغ البلاد بالصبغة الإسلامية الواضحة<sup>(95)</sup> وقد تم هذا الأمر في القرن الخامس عشر للميلاد، مما أدى إلى قيام هذه الدولة قبيل منتصف ذلك القرن وليس في القرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد كما قال بذلك بعض المؤرخين، وتمكنت هذه الدولة التي تلقب أول سلاطينها بلقب سولون (سولونج) أي العربي المسلم من تعميق الحركة الإسلامية وتكريس العروبة والإسلام في هذا الإقليم من أقاليم السودان.

### ويمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي:

1. كان لهجرة القبائل غير العربية مثل جماعات الزغاوة والغلات، والتكازنة، دور كبير في نشر الإسلام في إقليم دار فور.
2. موقع دار فور من الشرق والشمال والغرب واحاطه الإسلام به من هذه الاتجاهات لها دور فور في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية نظراً لأن هذه المناطق المحيطة بدار فور قد انتشرت فيها العروبة والإسلام منذ زمن بعيد مما سهل دخول الإسلام والثقافة العربية الإسلامية إلى هذا الإقليم.
3. اتصال إقليم دار فور ببلاد الحجاز عبر الحجاج والحجاج وعبر طرق القوافل والتجار مما سهل إقامة العلاقات الاقتصادية بين البلدين، كما أدى قدوم الأشراف والعلماء من الحجاز إلى دار فور، حيث أقاموا فيها ونهلوا من تشجيع سلاطينها وكبار رجالها منهم الشريف مساعد من أشراف أهل مكة وغيره.
4. طبيعة حياة العرب وطبيعة دار فور لها أثر في الهجرة وانفتاح هذا الإقليم على العروبة والإسلام، فانتشر فيه الإسلام وتدفقت في عروق أبنائه الدماء العربية، وبفعل المصاهرة والاختلاط تحول أهلة الأصليين مع المهاجرين إلى شعب واحد يحمل صفة العروبة ويدين بالإسلام ويشترك في الحياة الإسلامية.

### قائمة المراجع:

#### أ- المراجع العربية القديمة:

- 1- الإدريسي (537هـ-1162م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسن المعروف بالشريف الإدريسي.
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، جزءان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1409هـ/1989م
- 2- الاصطخرى (توفى قبل عام 350هـ/961م): ابواسحاق إبراهيم ابن محمد المعروف مالكرخي
- مسالك المماليك، تحقيق محمد جابر، مصر، 1381هـ/1961.
- 3- التونسي (ت 1274هـ/1857م) محمد بن عمر
- تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق د خليل محمد شاكر د. مصطفى محمد سعد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة، سنة 1385هـ، 1965
- 4- الحسن الوزان: (الدكتور) (عاش في القرن 16م): الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليو الإفريقي

- وصف افريقيا، جزئين في مجلد، ترجمه محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، سنة 1403هـ / 1983م.
- 5- ابن حوقل: (367هـ / 977م) أبو قاسم محمد بن علي النصيبي- كتاب صورة الأرض (مسالك الممالك)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة 1399هـ / 1979م
- 6- ابن خلدون (ت208هـ / 1405م) عبد الرحمن بن محمد- تاريخ ابن خلدون (والعبر ديوان المبتدأ والخبر)، ج5، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ
- 7- ابن سعيد المغربي (610- 673هـ / 214 / 1275م)، أبو الحسن علي بن موسى
- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قربيط، حسين نطوان، معهد مولاى الحسن، سنة 1378هـ / 1958م
- 8- القلقشندي (ت821هـ / 1481م) أبو العباس احمد علي
- صبع الأعشى في صناعة الأنشاء، 14 مجلد، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، سلسلة تراثنا، بدون تاريخ.
- 9- محمد بلوبن عثمان بن فودي، (عاش في القرن 19م)
- أنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة سنة 1384هـ - 1964م
- 10- المسعودي (346هـ / 957م) أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الجميد، دار المعرفة، بيروت، سنة 1403هـ - 1983م
- 11- ياقوت (ت626هـ / 1230م) الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي
- معجم البلدان، 6 مجلدات، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1376هـ - 1957م
- 12- اليعقوبي (272هـ - 1895م: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ابن وهب
- تاريخ اليعقوبي، 3 أجزاء، مطبعة العزى، العراق، سنة 138هـ - 1939م
- ب- المراجع العربية الحديثة**
- 1- إبراهيم علي طرخان: (دكتور)  
دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، القاهرة سنة 1393هـ / 1973م
- 2- أحمد شلبي: (الدكتور)  
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، سنة 1395هـ، 1975.
- 3- توماس أرنولد:  
الدعوة الى الإسلام، ترجمة د حسن إبراهيم حسن، د. عبد الحميد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، سنة 1390هـ / 1970م
- 4- حسن أحمد محمود: (الدكتور)  
الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة 1390هـ / 1970م
- 5- دائرة المعارف الإسلامية، تعريب إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، طبعة دار الشعب، مصر، بيروت، بدون تاريخ

- 6- رجب عبد الحليم: (الدكتور)  
العروبة والإسلام في دار فور في العصور الوسطى، القاهرة، ج1، 1999م
- 7- الشاطر بصيلي عبد الجليل: (الدكتور)  
- معالم تاريخ السودان وادي النيل، القاهرة، ط1، 1375هـ/1955م.  
- تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1392هـ/1972م
- 8- عبدالله حسين:  
- السودان القديم والجديد، القاهرة، 1365هـ/1945م
- 9- عبده بدوي: (الدكتور)  
- مع حركة الإسلامية في افريقيا، القاهرة، سنة 1390هـ/1970
- 10- كولين ماكيغيدي:  
- أطلس التاريخ الافريقي، ترجمه مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1407هـ/1987م
- 11- مدثر عبد الرحيم: (الدكتور)  
- الإمبريالية والقومية في السودان (1856-1899)، دار النهار للنشر، بيروت، 1391هـ-1971م
- 12- مصطفى مسعد:  
- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى/ الانجلو المصرية، سنة 1380هـ-1960م
- 13- مكي شبكة: (الدكتور)  
- مملكة الفونج الإسلامية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1384هـ/1964م
- 14- نعوم شقير:  
- تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ط1، القاهرة، سنة 1321هـ/1903م
- 15- نعيم قداح: (الدكتور)  
- أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، مكتبة الاطلس، دمشق، بدون تاريخ